

مجلَّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 18 (2013) : 201 - 206
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

# سؤال الأخلاق في الفكر الجزائري
# – عبد الله شريط – نموذجا

**رايس زواوي و محاضر**

**قسم العلوم الإجتماعية– شعبة الفلسفة جامعة سيدي بلعباس**

شكّلت مسألة الأخلاق في كتابات / شريط/ بؤرة إهتماماته بواقع تفكير الإنسان المسلِم، ما برّر حقًّا، تزايد تشريح علاقة الأخلاق(La Morale) بالتناقض في الفهم إزاء ربطها دوماً بالإيديولوجيا، وأنت تقرأ لأعماله الضخمة- معركة المفاهيم- مثلاً تجده يطرحها في قالب عصري تنموي مُحفِّز للإنسان المسلِم أن يكون سبباً في فهم الدّين أولاً ومِن ثَم العمل على ربطه بواقعه المُعاش(Le Vécu).

تعرض سؤال الأخلاق عبر تاريخ ظهوره إلى اعتباره مفهوماً إيديولوجياً لارتباطه بما يمكن أن نسميه معركة المفاهيم، وهذا نتيجة ما لحق به من تناقضات في الفهم، فواقع الأخلاق على العكس من ذلك أمام مصطلحي الإسلام والمسلمين، لازال يطرح البحث عن الحلقة المفقودة بداخله حتى تكون الأخلاق في علاقتها بالواقع الحسي كما يقول/عبد الله شريط/ سبب من الأسباب لفهم الدّين بعيدا عن اليوطوبيا(L'utopie) وحتى في بعدها عن الايدولوجيا[1].

لقد كان بروز نشأة أخلاق عربية إسلامية كحدث واقعي بتوظيفها، لتقديم خدمات إلى الإيديولوجيا قد ازداد بازدياد الوعي الدّيني واستشعار قيمة المسؤولية أمام تعقد الواقع الحسي الّذي صار يُشكّل المسافة الّتي فصلنا وعيّنا عنها، عندئذٍ كان إدراك الفهم للدّين كأخلاق أن أصبحت محفز لتسخير الأسباب المتاحة والمبتكرة من رجل الدّين ومن المتديِّن النشط للدفع بدواليب التنمية قُدُما لمواكب فهم الدّين، كل هذا يتأسس عندما ننظر إلى المسجد ليس كفضاء لإنتاج الخطابات الدينية فقط ، بل لتصدير الأفكار التقدمية، وطرحه من جانبه المنفتح والمَرِن أمام تعقد الواقع المُعاش، كل هذا يفرض حتمًا، تحديات تجعل الأخلاق في سُلَّم الترفُّع عن اللافهم والسمُّو بالإنسان إلى مرتبته التي خُلِق لها ومن أجلها .

يُؤسّس الأستاذ/ شريط/ أنّ أخلاق عصرنا، تنبني على واقع المفاهيم الحسية، ما يجعل من أخلاقه تحوم حولها مفاهيم إنتاجية كالواقع، العلم، حسيّة الدّين، يجعلنا نستنتج أنّه يفصل بين المُتديّن النشط والمُتديّن العاجز الذي اتخذ من الدّين صلاة وزكاة ولحَى ووضوء، ثم أنّ فهم هذه، هو إدراك لقيمتها في الحياة وواقعها الحسي لقوله: ".. بل نفس الإنسان وقوته الروحية وسلامة طبعه التي يستطيع رجل الدّين أن يخلق بها المنجزات ما لا يستطيع أن يخلقه العالم باكتشافاته في المادة الطبيعية أو المخترعات الآلية "[2] ، ليطرح مسألة القيّم وعلاقتها بالمؤسسة العلمية لفهم معنى الواقع الحسي وكيف تكون الأخلاق شرط على التحرُّر من الأفكار الإيديولوجية، شرطٌ لفهم إدراك معنى الدّين بعيداً عن ما لحقه من أفكار رجعية .

الأخلاق وفضاء المسجد.

نفهم جيداً، تصور سؤال الأخلاق في الفكر العربي- الإسلامي وتفتحه على الأفكار والمؤسسات من خلال تشريح الفضاء بإنتاجه لحسيّة

الأخلاق بتطهير العقلية من المفاهيم الرجعية الأرثوذكسية[3] التي طالما ناضل أمثال/ شريط/ وأركون والجابري لتحليل آليات التحكم في الفضاء بالبحث عن أشكال الأمية: أمية الفكر والدّين، أمية الثقافة والحضارة، فيبني دور الأخلاق على مجموع الثنائيات التي شكّلت برأيه بؤرة بُعد المسلِم عن مقارعة المسافة التي وجود هذا الإنسان كمنتجٍ للقيّم داخل فهمه لمنظومة القيم وأحكام القيّم، فبات:" تصنيفها في قائمة الشعوب البدائية منها إلى الشعوب المتحضرة "[4] فيعتبر كل ما يمس حياة الإنسان الروحية والمادية، والتربية والنسل بأنّها مواضيع لخدمة الإيديولوجيا في فترة، كان فيها المسجد فضاءاً لإنتاج الأفكار والرجال، أما اليوم أصبح العالم العربي- الإسلامي لا يُصنَّف عالمياً لعجزه عن التواصل مع الآخر، فيماثل / شريط/ رأي/ جلال العظم/ بأنّ:" الدّين هو مجموعة من المعتقدات والتشريعات والطقوس والمؤسسات التي تحيط بحياة الإنسان "[5] لمساهمة الأخلاق في تأسيس صروح العلم، والأهم هو بناء المؤسسات الدّينية والأخلاقية، ذات الإرتباط بواقع مثالي- واقعي لحياة المُسلِم، ما يُؤسس لاحقاً خلق إمكانية للسمو بالفكر إلى مصاف الإيديولوجيا العلمية.

لقد طرح/ شريط/ مُنعرج مُهم، على أساسه تتحدد التنميّة هي دور المسجد كوسط إجتماعي يُنتج الفعل الإجتماعي- الإنساني من خلال بعث الأخلاق إلى جانب العلم كضرورة لتأسيس مجتمع مُتكامل على خلاف بلاد المشرق ( تركيا نموذجاً)، حديثه فيه جديّة وغيرة إتجاه ما لحق المجتمع برمّته من مأساة هي التفاوت بين العالَمين، فيحدِّد على منواله الخطاب من خلال إعادة طرح القوى التي ساهمت بطريقة أو بأخرى في خلق هذا الردب(L'impasse)، خصوصاً أنه حدّد أحادية الخطاب متمثلا في أشكال المأساة منها: الأميّة بكل ضروبها..

بكلامٍ نابعٍ من ثقة في النفس، وفي مقومات الإنسان المسلم ً منهاً: لغته، يتحدث / شريط/ عن مسايرة العلم، فيُؤسِّس السؤال الأخلاقي الذي يحكم الفكر في كافة المجالات التي تهم المجتمع المسلم، ضف إلى ذلك، لم يكن الدّين حجرة عثرة ( Pierre D'achoppement) أمام العلم، بل الواقع برهن على ازدواجية التكامل للسؤال الأخلاقي من خلال الدّين، العلم.

لقد إستطاع الأستاذ/ شريط/ بمهارة فكرية فائقة من تحديد مصطلحات التعامل مع سؤال الأخلاق في البيئة العربية المحلية، من خلال ربط الفضاء بحسيّة الواقع، حسيّة العلم بمحاولة إدراج الإنسان العربي- المسلِم في منظومة إنتاج الأخلاق التطور، والأهم هو الإنسان كما تصوره /ابن خلدون/ اجتماعيا وأخلاقياً والأكثر كما يذكر /عبد الله شريط/ في كتابه[6] هو إنسان جديد بالنسبة للبحوث الإنسانية لأنّ المشكلة الأخلاقية التي أبقتنا على صلة من التبعية نعاني التحجر هو:" أنّنا ما زلنا عبيداً لصورة الإنسان الذي تحدثت عنه الكتب الغربية.." [7].

يطرح المسجد كفضاء مفتوح حسِّية العلم في تجديد لآليات إعتماده بما يتماشى والإنسان العصري المُسلِم، لأنّ العلم هو خاصيةٌ في الوعي بوجوده وبمؤسساته الدّينيّة والتوعوية، لهذا جاء سؤال الأخلاق بمثابة قضية الأم، عندما يتعلق الأمر بالبيئة المحلية التي تراعي قيمة العلم ودوره في التميُّز، وعلى النقيض من ذلك، مسألة القطيعة التي فرضناها على الأقل مع بيئتنا العربية-الإسلامية، جاءت لضعف فهم معنى الإندماج مع المؤسسة وإنحسار لقيمة التواصل مع الآخر سواء كان نصًّا أو شيئًا أو موضوعًا للمعرفة، وهذا لتشخيص المرض ومعالجته إنطلاقاً من العلم، فانجرفنا في التبعية فكان أن كنا دارسين للتراث القديم، وبالتالي استفحلت المشاكل والأزمات وبالدرجة الأولى الأزمة الأخلاقية بانعدام للعلم.

عندما طرح الأستاذ/ شريط/ تركيبة سؤال الأخلاق- العلم كان يتحدث ضمنياً عن الترسبات (La Sédimentation) التي لازلنا نعتقد بجدواها وبأهميتها منها المنهج في العلم كما اتخذه /ابن باديس/ أو حتى غيره[8]. لذا، وإن أُتهمنا بأنّنا مارقين على طريقة المصلحين، إلاّ أنّ البيئة هي بيئات، فما وجب الآن هو تطهير المسجد كفضاء ليس للصلاة بل لإنتاج الأفكار وإعادة صياغة بقراءة متأنية تجديدية حتى لمنهج العلم لعلمائنا وباحثينا، وإلاّ فنحن داخل الترسبات، فإذا حدثت هذه القطيعة واعترفنا بخطئنا، أمكننا عندئذٍ أن نفك منطقة معركة المفاهيم لصالحنا. فيتحدث عن معركة اشتد فيها الغلّو والتطرف لمفهوم من المفاهيم، بدل أن نُحلله، تحللنا نحن وأصبحنا عبيداً للمفهوم، عصر المشكلات قد تفاقم، ودور المسجد في بعث التنمية يكاد يكون نادراً إلاّ في المواسم، لأنّ كل(المتوافدين من الزوّار باتوا غرباء ورحلة إلى أراض أخرى وإلى مساجد أخرى)، لهذا فإنّ:" كل مشاكلنا وعيوبنا التي يفضحها بدون شفقة مردها إلى مشكلة الثقافة، أعني الثقافة بأوسع معانيها: المدارس والكتب والصحف والمحاضرات، والعادات والتقاليد، ومفاهيمنا للسياسة والاقتصاد والأخلاق ومشاكل التربية وتناقضات الأجيال وتنازع الأفكار"[9] لأنّنا لم

نتحرر بعد من تحكُم العادات الفكرية، ومن التقليد التجديدي، لهذا فإنّ معيّار الحقيقة والزيف في حياتنا الاجتماعية كلها تطرح السؤال الأخلاقي من خلال الواقع والعلم، علماً أنّ آفاق التحوُّل وارد، لكنه يحتاج إلى منهج ورؤية فعالة تناقش طبيعة المشاكل الاجتماعية والأخلاقية لمراعاة ظروف المجتمع وحاجاته وهذا لا يتأتى بالأمل والأماني، بل بالعمل الجاد، ليصبح المشكل الأخلاقي سؤالٌ للبحث وأساسه.

مفهوم الإعتراف. ميزةٌ أخلاقية- علمية.

يسوق لنا الأستاذ/ شريط/ مَعْلماً آخر يُقوي من قيمة السؤال الأخلاقي، هو ضرورة الإهتمام بِنَهم المعرفة، التي يراها نابعةٌ من أخلاق المرء وحبه لخطاياه، لا ليعشقها بل ليُصححها ويستفيد منها، فيطرح معنى المنهج لبناء نظام معرفي- علمي، حيث فُشاطر ما طرحه المفكر في ما يخص أن نتحدث على مرأى من الناس وعلى مسمع متقفينا، أنّ هذا ناتج عن شعورنا بالرضا أمام ضعف نفوسنا لأنّنا مرضى ومولعين بالمدح ولا نقبل بالذم ونمقت أنفسنا لأنّنا لا نعترف، وإن اعترفنا، سرعان ما ننسى..

لم يتوان عن طرح الخطأ الذي وقعنا فيه بدءاً من الفارابي[10] وحتى الآن والمتعلق أنّنا لازلنا بعيدين عن طرح مشاكل مجتمعاتنا بجديّة، وهذه مشكلة الإنسان العربي في أنّه إتخذ من غيره أن يكون قدوةً، ما يطرح بصدق مسألة البحوث الأخلاقية (الاجتماعية) بحيث أعجب الأستاذ بكتابات /ابن خلدون/ التي حقرّت التاريخ الطبيعي المتمثل في الإكثار من شرح لما بعد الطبيعة لـ/ابن سينا/ الذي خصّص في كتابه عن ما يقرب من 4% من الكتاب تناولت الأخلاق والمعاملات والسياسة ما جعل من الخطأ حتمي، ويجعل منه على الدوام مُكرراً في كتاباتنا لأنّنا خلقنا هوة بيننا وبين مجتمعاتنا ومشاكله لقوله:"..نرتكب خطأين:الأول أنّنا نُكرر الخطأ الذي وقع فيه الفارابي وابن سينا وإضرابهما في تقليدهم للباحثين اليونانيين حتى غفلوا عن مجتمعاتهم (...) وهذا ما نبه إليه ابن خلدون في غير موطن "[11]، ثم أنّ ما أثار السؤال الأخلاقي لديه هو أنّ المجتمع العربي لم يُدْرَس دراسة علمية منذ/ابن خلدون/ إلى اليوم.

نعتقد أنّ / شريط/ يتصوّر منهجًا مغايِّراً ذو مستويين هما:

- فهو مَرِن، فلأنّه يتعامل مع العلم بأخلاق منفتحة تُتيحُ له بناء نظام معرفي يكفُل تطوره.
- فهو صارم، لأنّه يتعامل مع المؤسسة الدّينية والعلمية والثقافية بجدّية، لبناء نظام معرفي حول الإنسان أولاً، والأشياء ثانيًا.

يُصوّر لنا / شريط/ على طريقة /ابن خلدون/ الإنسان العربي الذي قَبِل بالسهولة واستعصى على نفسه اقتحام المشاكل الاجتماعية بواقع مُغاير وبأدوات مختلفة ونابعةً من أصل السؤال الأخلاقي، لأنّ المشكلة هي تَمثُل النضج الفكري لواقع اجتماعي أردناه لأنفسنا.

نذكر أنّنا طرحنا إلى جانب حسيّة العلم، حسيّة الدّين بتحديد المفارقات بين المتدين النشط والمتدين العاجز لبناء مشروع مجتمع، نحن لا نتعرض إلى الدّين كمشكلة، وإنّما كيف وظّف هؤلاء الدّين كمشكلة للتنمية لذا، يتحدث/ شريط/ عن النقد الذاتي الذي يحمل الإنسان النشط بطبيعة الحال إلى تفكير ذاته وتفكير مجتمعه، هنا بالذات يكون السؤال الأخلاقي في خدمة تنمية المجتمع حاضراً بقوة..

- يُعاني المجتمع العربي الآن ثِقلٌ كبيرٌ، فُرض على دّينه ومعتقده سواء الدينيّة أو غير الدينيّة التي تتآكله من الخارج والداخل بوسائل حضرّها بنفسه لاستقبال المدّ المُتأتي من مختلف التيارات.
- هل بات الاعتماد على الدّين فقط للصلاة والزكاة والفرائض؟ ألم يكن دعوةٌ إلى العلم ومن تم إلى الإهتمام بتنمية مجتمعاتنا، ففي الوقت الذي تآكلتنا الأمواج من الخارج وبات علينا الرجوع إلى الدّين للمحافظة على سؤال الأخلاق، صرنا داخل إنحتات، لأنّنا لم نفهم الدّين إلاّ ركعات..
- لا شك أنّكم تذكرون، أنّنا أشارنا كيف أنّ الأستاذ/شريط/ يُركِّز على عاهة الأميّة بمختلف أشكالها، أميّة الفكر والدّين، أميّة القراءة والكتابة، أميّة الثقافة والحضارة، بالتركيز عليها أنها سبب التأخر على الدوام، وهذا بخلق من المؤسسة عمومًا أن تكون منبع سؤال الأخلاق.

**<u>الأخلاق شرطٌ لعمل التنمية</u> :**

عندما تعرض لموضوع التنمية، ربطه دائماً بالسؤال الأخلاقي، لأنّ قيمة الأخلاق في المجتمع أكبر لتحقيق الوثبة الكبرى وهذا طبعاً بالاهتمام:" بحياة الإنسان الروحية والمادية على

السواء، مثل مشكلة القيّم، والحرية، وأنظمة الحكم، والأسرة، والتربية، والنسل"[12]، بحيث لم يتوان أن يُحدِّد موقفه منها، وهو موقف مؤيِّد لتوظيف الحياة الأخلاقية للدفع بعملية التنمية قُدماً نحو رفاهية المجتمع، شرط أن يكون خاضعاً للرقابة الأخلاقية، كوازع أخلاقي والنظر إليها باستمرار على أنّها قيمة

لقد أشار الأستاذ / شريط/ إلى موقف رجل الدّين من عمل التنميّة في المجتمع، أراد أن يتحدث عن المساهمات في البحوث والدراسات التي تمس حياة الناس،حيث يستشهد بجيل القرن الثامن عشر والتاسع عشر أمثال / رفاعة رافع الطهطاوي/ أو/ طه حسين/أو الجزائري/ كاتب ياسين/ وللتونسي/ الحبيب بورقيبة/ ولآخرين كثيرين:" عن مأساة تاريخية، مأساة التفاوت الفظيع بين عالمين مختلفين، ولا تزال هذه المأساة تتعقد وتستمرّ على صعيد بشري مُتعاظم ومُتفاقم "[13]، فنعتقد أنّ التقاطع الموجود بين

الأستاذين /شريط/ و/أركون/ هو حسيّة الّدين وحسيّة العلم، كلاهما قد اعتبرا المسلم المتدِّين العاجز عليا يتفكر فيها المسلم لتقويم ذاته وتقييم عمله، حيث نهجُ الإستدماج من المتديِّن عمومًا العربي- المسلم وغير المسلِم لم يتم تبنيها في المؤسسة ، إلاّ لكون المسجِد كفضاء تحوّل من كونه مفتوح إلى فضاءٍ مغلق وُضِع برأيه لتأدية الطقوس والشعائر وهذا الفعل يشجبُه الأستاذ/ شريط/بإستمرار بمثابة مأساة على دينه وعلى مجتمعه، فجاء هذا التفاوت لتحديد الأسباب التي جعلت العالم الغربي يُولي إهتماماً للسؤال الفلسفي،

وهذه نقطة الإختلاف والخِلاف بين العالَمين، فأُصبغ العلم بأخلاقهم وقيمّهم، في حين لم نفهم، حتى نعيّ تماماً معنى الدّين وموجباته، وما يدعو إليه من تكريّس القيم والعمل بها بما ينفع المجتمع المسلِم وهذا لتزكية الدور المنوط للإنسان.

الأخلاق والتنمية.

جيل البعثة العلمية(19-20). مساهمة الإصلاح في تكوُّن المعرفة حول التنمية.

بناء منظومة معرفية(6- 14 الميلادي

عهد الترجمة والإنتاج).

العلم والأخلاق.

لا شك، أنّ تحديد شروط الإصلاح تبقى قائمة إذا هي لاقت جديّة لخدمة المجتمع، وعليه: " ما جدوى ما يُؤديه العالم الديني من خدمة لمجتمعه؟ وما هو نشاطه في عملية التحريك الاجتماعي التي تُقلب الحياة في وسطه في كل لحظة؟..لأنّ الهدف من الصلاة الجماعية هو التدريب على العمل الجماعي المنظّم" [14]. لذا، نحتاج إلى تريُث ثم عمل، فتطبيق، لأنّ ما من عمل فيه تنميّة أو لصالح المجموع، إلاّ ويحتاج إلى تكاثف القوى والأفكار والعقول لتسيِّيره والتمكّن منه، وهذا عندما نأخذ بعين الاعتبار جعل الأخلاق في مصاف أهدافنا التي تؤطر هذه الأفكار، وهذا بالتخلّص من الأفكار التي إعتادنا بها على مجاملة الدّين لأنّنا لازلنا نعتبره فقط ركعات وهذان خطأٌ في حقِّ الدّين.

ما أثار انتباهي وأنا أقرأ للأستاذ/ شريط/ هو طرحه لبدائل تحل محل التقليدي من العُرف الاجتماعي، فهو يجمع بين التطور وما ينعكس هذا الأخير على المجتمع الإسلامي برمّته وعلى الإسلام حتى لا يعود غريباً، فيقترح جمع ثمن أضاحي العيد في الحج وهي بالمئات[15]، وحتى تُستثمر في ميادين ومجالات تعود بالنفع العام، فنلمس أنّ هذا الطرح فيه تركيب بين العلم والأخلاق[16]، لأنّه يتكفل بتخصيص ميزانية لكل بلد من بلدان المسلمين تُجمع من أثمان الأضاحي وهذا طرحٌ قلما نجده لأنّه من جهة:

- تطويرٌ للإسلام بعدم جعله تقليدي.
- التفكير في مجمع إسلامي علمي- أخلاقي، حيث يتكفل بمسؤولية ضخمة، كما يكفل للمجتمع المسلم برمّته نصيبه من المال الذي يعود على السعودية كل سنة بالمال الوفير.

إنّ التحليلات التي وردت مع/ شريط/ في

كتبه سواء- مشكلة الإيديولوجيا وقضايا التنمية- أو- الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون- أو غيرها قد تناولت طابع الأخلاق والدّين على المدى الواسع، إذاً لماذا لا نستفيد من الأفكار التي نراها تنطبق مع خصائص مجتمعنا ؟ لماذا لا نمزج الاشتراكية في الاقتصاد وفي التنظيم الاجتماعي والسياسي؟.

إنّ الاشتراكية التي تحدَّثَ عنها الأستاذ هي بمثابة نظام علمي، قبل أن تكون نظام سياسي، فعلى أساس أن نستفيد منها في عملية مزجها بثقافة المجتمع، بربط التطور بالأخلاق شرطَ أن تكون هذه الأخيرة مُحدِّدةً للأولى، هو ما نتفق معه في طرحه الواقعي لمواكبة الآخر، لكن طبيعة الاشتراكية أو حتى غيرها من النظُم قد برهن الواقع على فشلها الذريع، ليس كنظام، وإنّما كأشخاص قد سيَّرهم هواهم، قد أصبحت أخلاق الأفراد والجماعات مختزلة، والأكثر في جعل النظام رجعي لأجل تحقيق مصالح على حساب المجتمع.

نعيش اليوم وفقاً لوجهة نظرنا ما نُسميه- عالم الذئاب- لأنّ الفرد قد أُختزل في النظام فبدل أن تكون العلاقة تبادلية بين الفرد والنظام (الآخر)، صار الفرد هو الذي يُساعد الاشتراكية ولا يتوانى في إنجاح النظام، لكن هذا صار على مسؤوليته، ففي الوقت الذي كان يُنتظر أن يطرح السؤال الأخلاقي العلاقة التبادلية بينه وبين النظام أصبحت العلاقة مصلحية قذرة، فبات سؤال الأخلاق بين مزدوجتين.

من منظور/ شريط/ مسألة التعاون لحل أي أزمة ومنها مسألة الأميّة الفكرية، أمرٌ حتمي يُوجب تدخل الدّين لحل النزاع بإحداث رتقُ علوم الدّين بالعلوم العقلية (بما فيها العلوم الأدبية) لقوله:" ويجب أن نُسجل هنا أنّ الفكر العلمي إذا كان نتيجة لليقظة الذهنية العظمى التي أثارها الدّين في المجتمع الإسلامي، فإنّه من ناحية أخرى يعتبر هو مركز الثقل في ميزان الحضارة الإسلامية."[17]، فهو بمثابة أي- الفكر الدّيني- وثبةٌ للفكر العلمي، فماذا ينفع أن يكون الدّين مُتسامحاً،عادلاً، إذا لم يخلق في المجتمع فكراً علمياً يهاجم كل تفكير رجعي، منغلق:" فعظمته في نظرنا لا تعود إلى رحمته وتسامحه وعدله الاجتماعي وتحريره للشعوب من السيطرة السياسية والاقتصادية، بل تعود قبل ذلك إلى إثارته لليقظة الفكرية التي ألهم إليها مجتمعاً تعد أبرز ميزة فيه هي الأميّة الفكرية نفسها "[18].

إنّ أهم ما يطرحه الأستاذ/ شريط/ كتحليل واقعي للمسلمين وللإسلام[19] هو التلاحم بين الفكر الدّيني والفكر العلمي كسؤال أخلاقي لتطور المجتمع، ليس فقط حضارياً مُمثلاً في المؤسسات، بل أن يكون العلم والأخلاق شيءٌ واحد.

يعود/ شريط/ في نفس المسألة التي تخدم السؤال الأخلاقي هو عبودية العجز الفكري في أنّها ترسَّخت فينا عندما انزلقنا بالخصوص كما سماه/ ابن باديس/ جرّاء الدّين التقليدي[20]، ليحدثنا بأنّ معنى العمران هو الحضارة والصناعات، بل الأكثر، هو الأخلاق، هو تنظيم حياة الناس الاجتماعية والروحية، لأنّ هناك مسافة تقع بين الفكر الدّيني والفكر العلمي، يَحْرُم نزعها حتى لا يختلط الفكرين، فلا مانع أن يتعاونا معاً، لكن لكل مجاله الخاص، ما جعل من معنى السؤال الأخلاقي هو بناء أرضية يعمل فيها كل من الفكر العلمي والفكر الدّيني على إنفراد.

إنّ مبدأ الفصل جاء كمحاولة نافعة للاحتفاظ بحدود واضحة لترقية الفرد حضارياً وأخلاقياً، ولأنّ الحدود الفاصلة لا تعني القطيعة حتماً، فإنّ الإهتمام أو النقص الفكري هو أكبر ضرر على التطور أو تراجع السؤال الأخلاقي.

حتماً، الحاجات الحياتية التي نستفيد منها على نحو من التفكير العلمي، هي دون شك علاقتها بالأخلاق تتجاوز هذه الاستجابة الواقعية، لتلعب دوراً هاماً في تكوين الفكر الأخلاقي يكون دافعاً لمراعاة ظروف المجتمع وتطوره..هذه بعض أخلاقية العلم التي يراها الأستاذ بأنّها ضرورية، فهو يتكلم عن ممارسة الأخلاق في أحيان مُعرضة للقطيعة ومرّةً أخرى يربط بينهما، خصوصاً عندما نكون في موضع أن نهتم بواقعنا.

إنّ موضوع السؤال الأخلاقي مع الأستاذ هو في تنوعه بين التحريم والتقعيد:ف" تتعلق كلها بالمستوى الحضاري للشعوب"[21] ما يجعل منها أن تكون إعتباطية، يُصبح الاقتراب منها ممنوعاً، كأخلاق المجتمع البدائي، وهذا صنفٌ من الأخلاق الذي ينظر إليه/شريط/ بأنّه شَكّل محور التفكير الاجتماعي قديماً وحديثاً.

فعلى نحو اعتباطي، أنّ مسألة التحريم لا تخضع لأسباب عقليةً قد يقبلها العقل أو يرفضها، بل نُسلّم بها بديهياً- فمسألة المُسَلَّمَة (Le Postulat)- نعني بها عدم المناقشة للأخذ أو الرفض، بل قبولها كما هي أو رفضها كما هي، ما يجعل من الأستاذ/ شريط/ في تحليله لمسألة السؤال الأخلاقي يأخذ عدّة تشعبات وأهمها: " أنّ الأخلاق تقوم على تحقيق الانسجام بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة" [22] مثلاً مسألة التسامح والتعصُب هي من الأخلاق لسعادة الفرد

والجماعة، فلماذا نُعاقب أفراد نتيجة أفكارهم إلى حدّ تجريمهم؟

يستوقفنا حديث/ شريط/ عن التسامح من خلال تعرضه إلى عملية مسحية للتاريخ، ليكون التسامح هو مسألة شخصية تُحبُها السلطة وتحرمها بالمنع بتسليط أشكال من الإقصاء حيناً، ومن الاضطهاد حيناً أخر، ولك من نماذج لـ:سقراط(Socrate) أو هوبز(Hobes) نماذج على فهمية الفرد (السلطة) للتسامح، عندما يكون هذا الأخير هو إنشاء وسطٌ إجتماعي يكفل للعلم قُدُسيَتِه بما يعود على الأخلاق بتنمية شاملة.

لقد أثارنا مسألة السؤال الأخلاقي بتقليبه على عدّة أوجه، اجتماعي، سياسي، دّيني والأكثر فلسفي، وبالتالي تُصبح الحرية على اختلافها ليست بذات معنى، لأنّ ما يحدث في العالم من أعمال، كان بإسم الحرية والديمقراطية تحت غطاء إفساد معنى أن تحترم الآخر. لذا، نعتبر ما وصل إليه/ شريط/ من تحليل للسؤال الأخلاقي في الفكر العربي- الإسلامي لا يختلف عن مثيله عند المجتمعات غير المسلمة، وعندما أقول عربي- إسلامي، لا يعني الدّين، بل الإعتقاد بالتديّن، كله خطأ، كون المعايير الأخلاقية صارت تُوضع بحسب قبولها أو رفضها من العقل.

## الهوامــــش

1- بالإمكان أن نفهم الإيديولوجيا في كلمة واحدة ، بأنّها التبعثر الذي يلحق بالأخلاق لسوء الفهم ، فيجعل من الأخلاق سؤالاً بين الحسي والواقعي .

2- شريط (عبد الله) ، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية ، ديوان المطبوعات الجامعية- قسنطينة(الجزائر) ، 1981 ، ص147 .

3- إشارةً إلى الإعتماد على النص الدّيني ، دون إعمال لواقع الحس في تفعيل دور الأخلاق لخلق تنمية الأفكار (الإنسان) والأشياء (المؤسسة) .

4- المرجع نفسه ، ص148 .

5- جلال العظم (صادق) ، نقد الفكر الديني ، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، ط5،مارس1982، ص12.

6- شريط (عبد الله) ، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر ، ط2 ، 1981 ، ص205 .

7- شريط (عبد الله) ، المرجع والصفحة نفسها .

8- لا نُنكِر دور الإصلاح الذي إتبعه هؤلاء منهم محمّد عبده، ابن باديس.. وغيرهم كُثُر في إقامة الثقة بين الإنسان المُسلِم ومؤسسته الدّينية التي تبنّت سؤال الأخلاق- العلم، عِلمًا أنّ هذا المنهج كان فعالأن كونه أنتج مؤسسة ذات فضاء مفتوح ركّز على دور الوعي لإنتاج إنسان واعي على الطريقة الإسلامية- العربية.

9- شريط (عبد الله) ، معركة المفاهيم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر ، ط2 ، 1981 ، ص ص:9 – 10 .

10- أشارنا إلى الفارابي من قَبيل أنّه مثّل عتبة معرفية كانت مرجعًا للإعتماد المنهجي وللتقويم المعرفي ، فبات إيجاد منظومة معرفية تؤسِّس لأخلاقية العلم ، حسيّة الدّين حلاً يرتقي إلى طبيعة الإنسان الجديد .

11- شريط (عبد الله) ، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ، ص206 .

12- شريط (عبد الله)، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية ، ص149 .

13- أركون (محمّد) ، الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد ، تر: هاشم صالح ، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر ، 1993 ، ص65 .

14- شريط (عبد الله) ، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية ، ص152 .

15- المرجع نفسه ، ص154 .

16- وإنْ إعتبارنا أنّ طرحه موضوعي ، فهو لأنّنا نبغي إخراج المسلِم من عقدة التديُّن السلبي والتقليدي ، غير أنّ ما طرحه شريط من تفكير النصوص الدّينية الوقفية يبقى نسبيًا ، لأنّ الهدف من الأضاحي هو تحديد التضامن والإندماج الإجتماعي .

17- شريط (عبد الله) ، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ، ص540 .

18- المرجع والصفحة نفسها .

19- مسألة مصطلحات الإسلام والمسلمين ، تعرض لها الباحث المفكر محمّد أركون في كتابه: الفكر الإسلامي بتحليل مُوَّسع وهو لا يختلف كما رأينا عن الأستاذ شريط .

20- المرجع السابق ، ص541 .

21- شريط (عبد الله) ، من أجل سعادة الإنسان ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر ، د:(ط ، س ) ، ص70 .

22- المرجع السابق ، ص72 .